

أصول التربية و التعليم في الأندلس

من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف (١٣٨ - ٤٧٩هـ / ٧٥٦ - ١٠٨٦ م)

- دراسة في مناهج التعليم وطرق التدريس -

أ. بن حاج ميلود

جامعة ابن خلدون ، تيارت

مقدمة :

لقد حث الإسلام على طلب العلم وضرورة الصبر في طلبه ، وتحمل الصعاب لتحقيقه كيف لا وقد نزل الأول من الوحي على أفضل صلاة و أزكى تسليم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إقرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)^١ ، وفي فضل العالم على الجاهل يقول تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)^٢ ، وفي هذه الآية منع الله عز وجل المساواة بين العالم والجاهل لما خص به العالم من فضيلة العلم ، وقال في موضع آخر (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)^٣ ، وقال عليه الصلاة والسلام وهو يبين مكانة ورفعة العلماء عن غيرهم من العامة إذ قال صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً و لا درهماً ، وإنما ورثوا العلم)^٤ .

وروى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا هو بمجلسين : أحدهما يذكرون الله تعالى ، والآخر يتفقهون ، فقال صلى الله عليه وسلم : " كلا المجلسين على خير ، و أحدهما أحب إلي من صاحبه ، أما هؤلاء فيسألون الله تعالى ،

^١ سورة العلق رقمها ٩٦ ، الآية من ١ إلى ٥٥ برواية حفص عن عاصم .

^٢ سورة الزمر ، رقمها ٣٩ ، الآية ٩ .

^٣ سورة العنكبوت ، رقمها ٢٩ ، الآية ٤٣ .

^٤ أخرجه ابن ماجه رقم ٢٢٣ . ١/٨٢ في المقدمة : باب الانتفاع بالعلم . الترمذي رقم ٢٦٨٢ كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة . وابن حبان في صحيحه رقم ٨٨ .

ويذكرونه ، فإن شاء أعطاهم ، وإن شاء منعهم ، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ، و يعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً " ، و جلس إلى أهل الفقه ^١ .

و يشير صاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ)^٢ في كتابه طبقات الأمم أن اهتمام الأندلسيين بالحركة التعليمية بدأ فعلياً منذ عصر الإمارة ، لكن الاهتمام كان منصبا على العلوم الدينية الشرعية وعلوم اللغة دون غيرهما من العلوم الأخرى ، ويقدم تاريخاً مضبوطاً فيحدده ابتداء من منتصف القرن الثالث للهجرة /التاسع للميلاد وذلك في فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم^٣ (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٤-٨٨٦م) إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري /العاشر للميلاد ، وفي هذه الفترة بين القرنين شاع علم الحساب والفلك^٤ ، كما انه من المنفق عليه في بعض الدراسات الحديثة أن عصر الخلافة في القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي يعد قمة الحضارة التي وصلت إليها الأندلس حيث شهدت نهضة علمية نافست بها العواصم العلمية المنتشرة آنذاك في المشرق ، في مختلف العلوم والآداب ، وستبرز أهمية هذه الريادة في العطاء والإنتاج الفكري الذي ستعرفه الأندلس فيما بعد ، ويقصد بذلك في عصر ملوك الطوائف الذي يعد من أخصب المراحل التي مرت بها الأندلس من حيث ازدهار حركة التأليف والإنتاج الفكري والاهتمام بالكتب والنقائس ، وكل ما يتعلق بالعلم بصفة عامة^٥ ، وفي هذا المقام يقول المؤرخ عبدالرحمن علي الحجي :

" كان العلم منتشرا في الأندلس انتشارا تفتقره كثير من البلدان المعاصرة لنا ، ولها حظ في التعليم ... كبير من خير ما يقدم عصر الطوائف إلى جانب صفحات الجهاد المشرقة ...

^١ أخرجه ابن ماجه ، رقم ٢٢١ ، في المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم .

^٢ صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي ، قاضي طليطلة ، ولد بالمريّة سنة ٤٢٠ هـ وتوفي بطليطلة سنة ٤٦٢ هـ ، يكنى : أبو القاسم ، قرطبي الأصل ، استقضاه المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة ، عرف بالذكاء وعلو كعبه في علم الرواية والدراية .

ابن بشكوال (أبو القاسم بن خلف) ، الصلة ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٣٧٠ .

^٣ من أمراء الأندلس ، ولد وتوفي في قرطبة ، تولى الملك بعد وفاة أبيه ، كان عاقلا ، عادلا ، محسنا للرعية ، كثير الغارات والغزوات على الإفرنج ، له باع في البلاغة والأدب وقد بلغت مدة حكمه أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً . ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ، الحلة السرياء ، وضع حواشيه وعلق عليه : علي إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٤ . خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج ٦ ، ط ١٦ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٨٨ .

^٤ صاعد الأندلسي (أبو القاسم بن أحمد) ، طبقات الأمم ، نشر وتحقيق : لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢ ، ص ٦٣ - ٦٤ .

^٥ يوسف علي بن إبراهيم العريني ، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٤ .

إنتاجا غزيرا وفيرا ومشرقنا مبدعا في مختلف الميادين فهو زاخر بالمؤلفات الأمهات والأصول الضخمة التي وصلنا بعضها قسم كبير من هذا ما يزال مخطوطا...^١.

انطلاقا مما سبق يجدر بنا طرح إشكالية مفادها : على أي أساس ارتكز التعليم في الأندلس منذ إنشاء أول إمارة فيها (كدولة مستقلة عن مركز الخلافة في المشرق) إلى غاية نهاية عصر التفكك السياسي (عصر ملوك الطوائف)؟ أو بعبارة بسيطة وأدق كيف كانت مناهج التعليم ومدارسه في الأندلس خلال هذه الفترة المطروقة ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قسمت موضوع هذا البحث إلى مبحثين أساسيين ، الأول معنون بالمراحل والمناهج التعليمية ، ويندرج في إطاره عناوين فرعية ثلاث تتناول المراحل التعليمية الأولى ، المتوسطة ، والعليا على التوالي ، ومناهج التربية والتعليم كل مرحلة على حدا ، أما المبحث الثاني تحت عنوان: طرق التدريس من بداية التعليم إلى آخر مرحلة ، وهو مقسم بدوره إلى عناوين فرعية بحسب تنوع واختلاف تلك الطرق على سبيل المثال لا الحصر كطريقة الإسماع ، والإملاء ، القراءة ، المناقشة ، المناظرة ، والإجازات العلمية .

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف وسرد حال العملية التربوية والحركة التعليمية ، وكذلك توظيف المنهج التاريخي كأساس ومسار للموضوع من خلال التتبع الزمني لواقع التربية والتعليم للفترة الزمنية المقترحة في عنوان الدراسة (عصر الإمارة ، وعصر الخلافة ، وعصر ملوك الطوائف) .

ولقد استفدت في معالجة هذا الموضوع من بعض الأصول والمصادر التاريخية النفيسة كموسوعة التراجم والطبقات الموسومة بتاريخ علماء الأندلس للعالم المؤرخ ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت ٤٠٣هـ) ، وكذلك كتاب الصلة للقاضي المربي ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م) ، زيادة من بعض الدراسات الأكاديمية الحديثة المتخصصة والتميزة كالدراسة التي قام بها الباحث سعد بن عبد الله البشري المعنونة بالحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، والكتاب المعنون بالتربية الإسلامية في الأندلس للمستشرق الإسباني خوليان ريبيرا ، وكذلك البحث الذي قام به الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث في الأطروحة المعنونة بالحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ، فرغم اختلاف الإطار الزمني بين دراسته وموضوع هذا البحث إلا أن أطروحته أفادتني في بعض الإشارات التي لها علاقة بهذا البحث و هو بصدد التفصيل في موضوعه .

^١ عبد الرحمن علي الحجى ، التاريخ الأندلسي ، دار القلم ، دمشق ، ط ٥ ، ١٩٩٧ ، ص ص ٤١١-٤١٢ .

وللحديث عن التعليم في الحضارة الأندلسية من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف فلا بد والإشارة على أنه لم يثبت في المصادر ولا في الدراسات الحديثة أنه قامت مؤسسات رسمية خاصة بالتعليم - كما هو الحال في عصرنا الحالي - تعنتي الدولة أو السلطة الحاكمة بتسييرها والإشراف والإنفاق عليها ، بل كان التعليم والتحصيل العلمي آنذاك بالاجتهاد الشخصي لكل طالب علم^١ ، ويتدرج المتعلم في حياته التعليمية على ثلاثة مراحل ، وهذا التقسيم قائم على أساس السن ومكان التعليم ، والمادة التعليمية^٢ .

المبحث الأول : المراحل و المناهج التعليمية :

قبل التطرق إلى المناهج التعليمية التي عرفتھا الأندلس في مرحلة محل الدراسة ، لا بأس الوقوف عند نص متميز يرجع إلى منتصف القرن الثاني للهجرة / الثامن ميلادي لأحد المربين وهو عالم الأندلس وفقهها عبد الملك بن حبيب السلمي^٣ (ت ٢٣٨ هـ) الذي قدم رسالة مفصلة إلى معلم ولده يحدد فيها السمات والملاح الواجب توفرها في المعلم قبل عملية التعليم ، حيث يرى ابن حبيب أن شخصية المعلم لابد أن تتوفر على مجموعة من الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي يتميز بها المعلم عن غيره ، فعليه أن يكون مثالا حيا للأخلاق الحميدة الفاضلة ليتأثر بها الصبيان ، وبالتالي يتم أول هدف للتربية وهو غرس مكارم الأخلاق في روح المتعلم ، إذ يتأثر المتعلمون في سن بداية التعليم لمظهر المعلم وشكله وحركاته ، وإشاراته وألفاظه وسلوكه بصفة عامة ، وإن يكون حكيما يعرف نفسيات تلاميذه ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويتدرج بهم من السهل إلى الصعب ومن الكل إلى الجزء ومن العام إلى الخاص والرفق بهم ... وهكذا^٤ .

وللحديث عن المناهج التي اعتمدها الأندلسيون في التعلم ، فالمتفق عليه أن للتعليم مراحل، فكل مرحلة منهجها الخاص بها في التحصيل ، فتوجد المرحلة الأولى : وهي مرحلة الصغر، والتي تهتم بهذا الكتابين أو الكتاب ، وتشمل أطفال عامة الناس وخاصتهم ، ثم المرحلة الثانية

^١ السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٨٥ ص ٢٨٣ .

^٢ محمد عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الأندلس ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ط١ ، ص ٢١١ .

^٣ أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهدة بن عباس بن مرداس السلمي الألبيري ، عالم الأندلس ، وفقهها ، أصله من طليطلة ، ولد بحصن واط سنة ١٧٤ هـ ، له مؤلفات في الفقه ، والتاريخ ، والأدب توفي في بداية حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط . ابن الفرضي (أبو الوليد عبدالله بن محمد)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ج ٢ ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٤٥٩ وما بعدها .

^٤ سعيد اعراب ، رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده (أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس)، "مجلة الثقافة المغربية العدد : ٠٧ ، وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي ، المغرب ، ١٩٧٢ ، ص ص ٦٠ ، ٦٣ .

تبدأ عند نهاية المرحلة الأولى ، ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة التخصص بلغة العصر الحالي .

المرحلة الأولى : مرحلة الكتاتيب أو الكتاب :

وهي المرحلة الأولية التي يتعلم فيها الصبيان ، حيث اعتنى الأندلسيون بتعليم أنفسهم ، وأبنائهم وحرصوا على مكافحة الجهل ، والتخلف ، ويقول المقرئ في هذا: " وأما حال أهل الأندلس في فنون العلم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ... " ^١ ، وقامت الكتاتيب أو الكتاب ، أو ما يعرف بالمكاتب بالدور الجليل المنوط بها ، وهو تعليم الصبيان في المرحلة الأولى ، وتشير المصادر أن الحكم المستنصر ^٢ (٣٥٠-٣٦٦ هـ) فتح سبع وعشرين مكتبا في مدينة قرطبة لوحدها منها ثلاثة مكاتب حول المسجد الجامع ، والباقي تتوزع في كل أرباض المدينة ، وعين المؤدبين فيها لتعليم الفقراء والمساكين ^٣ ، وكان من المعلمين الكتاب المشهورين آنذاك حبيب بن أحمد بن إبراهيم المعلم ^٤ (ت ٣٣٧ هـ) ، وإبراهيم بن أحمد بن محمد بن خلف الأنصاري الطرطوشي ^٥ من بلنسية .

• مناهج التعليم في مرحلة الكتاب :

من المعلوم أن نظام التعليم لدى المسلمين عامة يقوم على تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولقد أولى الأندلسيون هذا الجانب أهمية بالغة في مراحل تعليمهم ، لذا كان القرآن الكريم بالأخص هو الأساس في العملية التربوية في المرحلة الأولى إذ كان تعليم القرآن الكريم ثم تعليم اللغة العربية ، ومن خلال نصين لعالمين أندلسيين أحدهما متقدم والآخر متأخر يقدمان المناهج التعليمية المتبعة آنذاك في تعليم الصبيان ، فالنص الأول يتمثل في رسالة عبد الملك بن حبيب التي وردت سابقا ، والنص الثاني للفيق والمؤرخ وعالم الأندلس أبو بكر ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) حيث وضع ابن حبيب منهجا لتعليم ولده يقوم

^١ المقرئ التلمساني (أحمد بن محمد) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ١٨١ .

^٢ الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ، الخليفة الأموي الأندلسي ، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٠ كان حسن السيرة ، عادلا ، شغوفاً بالعلم والأدب والتاريخ والأنساب ، شاعرا ، جماعا للكتب . ابن الأبار المصدر السابق ، ص ١١٦ و ما بعدها . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

^٣ ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ليفي بروفنسال و ج . س كولان ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

^٤ ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

^٥ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠٦ .

على تعليم كتاب الله اقتداء بما هو معمول به لدى أهل الأندلس ، ويورد في الرسالة التي قدمها أن من فضائل البدء بتعليم القرآن وتحفيظه في بداية التعليم عند الصبيان انه يرسخ الإيمان في قلوب الصبيان ، فالقرآن أصل التعليم عند الأندلسيين ، ثم تعليم الهجاء والخط والنطق به نطقاً سليماً صحيحاً ، وطريقة تعليم القرآن عند الكتاب أو الكتاتيب تهتم بكتابة الصبي الآيات المراد حفظها في اللوح، ثم يحفظها ، وعند حفظه يقوم بمحييها من اللوح بواسطة الماء في مكان طاهر ، وهكذا وبهذه الطريقة حتى يحفظ ما استطاع من القرآن^١ .

ويوضح الفقيه ابن العربي أن المنهج التعليمي الذي سار عليه أثناء تعلمه في الصغر - وهو النظام التعليمي الذي وضعه له والده - حيث ابتدأ بدراسة القرآن الكريم وحفظه وتم له ذلك وهو في سن التاسعة، ثم عين له والده ثلاثة معلمين : الأول لتدريسه القراءات^٢ ، والثاني للغة العربية والمعلم الثالث لتعليمه الحساب والعدد وكل ماله علاقة بعلم الفلك ، ويشير ابن العربي انه في سن السادسة عشر أتقن عشرة من أحرف القرآن ، وتجويده ، وتمكنه من اللغة العربية ، وفهم الكثير من مسائل الحساب والفرائض و كذلك كتاب إقليدس وبعض من علم الفلك ، ويقول ابن العربي : أن هؤلاء المعلمين تعاقبوا عليه في التدريس في اليوم بداية من صلاة الصبح حتى صلاة العصر^٣ .

ويحث الفقيه والعالم ابن حبيب في وصية لمعلم ولده انه بالإضافة إلى تعليم القرآن الكريم ، كذلك عليه تعليم الشعر ، ثم الحديث الشريف خصوصاً الصحيح منه^٤ .

وبالنظر إلى النصوص المتواترة في المصادر فالمنهج التعليمي الذي سار عليه عموم الأندلسيون في هذه المرحلة تتفق على أن القرآن الكريم هو أصل العملية التعليمية ثم من

^١ سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

^٢ علم القراءات : اصطلاحاً له تعريفات متعددة ، فالإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) يقول : "علم يدرس اختلاف ألفاظ الوحي ، وكيفيتها من تخفيف ، وتثقيف ، وغيرها ، ويقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : "هو اختلاف روايات القراء = في قراءة القرآن ومنها القراءات السبع المشهورة التي صارت أصولاً للقراءة " ويقول الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : "علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها ... " ، وتصدر هذا العلم قائمة العلوم الشرعية . ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، المقدمة ، تحقيق : علي عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ج ٣ ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٣١ . نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ، علم القراءات ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ط ٢ ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٦ ، ٢٨ . محمد المختار ولد اباه ، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو ، سلا المغربية ، ٢٠٠١ ، ص ٥ وما بعدها .

^٣ سعد بن عبدالله البشري ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢ - ٤٨٨ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٩٥ م) ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٢١١ .

^٤ سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص ص ٦٠ - ٦٢ .

بعده يأتي تعليم اللغة العربية ، ثم دراسة الأدب والشعر ، بالإضافة إلى العناية بالخط والكتابة^١ ، ويقدم ابن خلدون ملخصاً لمنهج الأندلسيين في تعليم الصبيان إذ يقول :

"وأما أهل الأندلس ، فمذهبهم في تعلم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا أنه لما كان في القرآن أصل ذلك ، واسه ، ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون عليه ، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل ، وأخذهم بقوانين العربية ، وحفظها ، وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم فيه بالخط ، أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبيبة"^٢ .

ولقد انتقد القاضي ابن العربي هذه الطريقة بعد بلوغه ، ورحلاته العلمية لمختلف الأقطار، فقد نبه إلى أن تعليم الصبي القرآن الكريم في بداية التعليم خطأً إذ أنه يقرأ ما لا يفهم ، وبذلك رأى بضرورة تقديم تعليم اللغة العربية والشعر أولاً على سائر العلوم الأخرى ثم تعليم الحساب ومسائله ، ثم من هنا يبدأ بتعلم وقراءة ودراسة القرآن الكريم ، وبهذا يبدأ الصبي في فهم القرآن ومقاصده ، ثم ينتقل إلى تعلم ودراسة أصول الفقه ، ثم الجدل والحديث وعلومه^٣ .

ووافق ابن خلدون على ما تقدم به أبو بكر ابن العربي ، غير أنه رأى من الصعب تطبيق هذا المنهج لأن عادة الأندلسيين تقديم وتفضيل تعليم القرآن على سائر العلوم الأخرى ، ومخافة أن يحدث للصبي في حال ما أخر دراسة القرآن من المعوقات ما تحول به عن مواصلة التعليم فتفوته المثوبة والبركة في حفظ القرآن وتعلمه^٤ .

ويقول الحافظ الفقيه أبو الحسن علي القابسي^٥ (ت ٤٠٣هـ) عالم المغرب الإسلامي أن المنهج التعليمي عموماً يقسم إلى قسمين : إجباري ، واختياري .

^١ سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

^٢ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١١٦ .

^٣ ابن الموز (أحمد بن عبد الواحد بن محمد)، خطوة الأقدام في التعليم والتربية في الإسلام ، تقديم وتحقيق : أحمد طالبي، مطبعة كرافيك أصالة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٨ . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ص ٢١١ - ٢١٢ .

^٤ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١١٨ . و يعد ابن الفقيه أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ) من العلماء الذين أيدوا بضرورة تقديم تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأضاف إلى ما سبق ضرورة تعلم الصبي أصول الفقه وفن المناقشة وأدبيات النقد السليم لمسائل العلم . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

^٥ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي القيرواني ، شيخ المالكية ولد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م ، وتوفي في ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) ، محدث ، فقيه ، قيل أن مؤلفاته بلغت خمسة عشر ولم يصل منها إلا كتابين : الأول عنوانه : الملخص وهو تلخيص لكتاب موطأ الإمام مالك ، والثاني بعنوان : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين ، وضمن في هذا الأخير آراءه ، وأفكاره حول التعليم السائد في عصره بالمغرب الإسلامي . القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، ج ٢ ، ص ٨٠ . ابن العماد

حيث رأى القابسي في القسم الإجباري بوجوبية وإلزامية تعليم الصبي القرآن الكريم والصلاة، إذ أن الصلاة لا تتم إلا بتلاوة القرآن، وكذا غرس مكارم الأخلاق، فالدين والأخلاق حقيقتان متلازمتان^١، وتعلم النحو والعربية والقراءة والكتابة، أما الاختياري فهو تعلم الحساب، وما بقي من النحو، والشعر، والتاريخ^٢.

من خلال ما تقدم يتضح في الأخير تشابه إن لم يكن إجماع النصوص السابقة على اختلاف مصادرها على وحدة المناهج في المرحلة الأولى من التعليم، رغم الاختلاف البسيط في تقديم مادة عن أخرى كتقديم اللغة العربية عن الشعر أو العكس، وعليه فإن الأندلسيين حرصوا كل الحرص على الاهتمام بدراسة القرآن الكريم أولاً قبل أي علم، بل اعتمدوه الأساس في التربية والتعليم ككل في بداية الحياة العلمية للمتعلم، وربما هذا ما يفسر ثراء الدراسات الدينية وعلوم الشريعة والمتخصصين فيها أكثر من غيرها من العلوم الأخرى، كما سيتبين ذلك في مواضع لاحقة.

المرحلة الثانية : المرحلة المتوسطة

ولقد أطلق عليها ابن خلدون **مرحلة التعليم الثاني**^٣، وهي المرحلة التي يدرس فيها التلميذ العلم بشكل أوسع من المرحلة السابقة، حيث يتعلم شروح القرآن وقراءاته، وكذلك شروح الحديث الشريف وكل ما يتعلق بالفقه وبعض العلوم الإنسانية والعقلية^٤.

تتميز هذه المرحلة بأن طالب العلم يختار معلمه بنفسه أو عدد من المعلمين حسب ما يراه انفع فالمنصور بن أبي عامر مثلاً (٣٢٦ - ٣٩٢ هـ / ٩٣٨ - ١٠٠٢ م)^٥ دخل إلى قرطبة، وهو

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص١٦٨.
ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، م٣، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

^١ أحمد حمایمو، التربية والتعليم عند القابسي، المعهد التربوي الوطني، جامعة محمد الخامس، العدد: ٦، الرباط ديسمبر ١٩٨٢، ص ١٢.

^٢ نفسه.

^٣ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٣، ص ١١١٠.

^٤ سعد بن عبد الله البشري، المرجع السابق، ص ٢١٣.

^٥ محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله، أصله من الجزيرة الخضراء، عرف بهيبته ودهاءه والذكاء، والكرم، واشتهر بالحاجب المنصور إذ عهد بوكالة هشام المؤيد لما كان صغيراً بعد وفاة أبيه وكانت مقاليد الحكم فعلياً في يده فيما كانت خلافة هشام المؤيد

شاباً من أجل طلب العلم والأدب ، والحديث على شيوخ قرطبة بعد أن تجاوز مرحلة الكتاب^١ ، وروى ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣ م) أن العالم المحدث محمد بن عبدالله بن غلبون الخولاني (ت ٤٤٨ هـ) " روى عن أبيه عبد الله وعن أبي بكر محمد بن عبد الرحمن ، وعن أبي عمر أحمد بن هشام بن بكير ، وأحمد بن قاسم التاهرتي وأبي عمر الجسور ، وأبي عمر الباجي ، وأبي عمر الطلمنكي وأبي القاسم أحمد بن منظور ... وأبي الوليد بن الفرضي ... وصاعد اللغوي ... الخ"^٢

وتختلف النصوص في الحديث عن السن الذي ينتقل فيه الصبي من المرحلة الأولى الى مرحلة الثانية ، و يرجع هذا إلى الصبي نفسه من حيث ذكائه ، وقدراته ، وربما تتدخل الظروف المحيطة به ، فإذا كان المنصور ابن ابي عامر كما ورد سالفاً قد تدرج إلى المرحلة الثانية وهو شاباً فالقاضي ابوبكر بن العربي (٤٦٨—٥٤٣هـ/ ١٠٧٦ - ١١٤٨ م)^٣ قد دخل هذه المرحلة مبكراً ، فقد حفظ القرآن ، وهو ابن تسع سنين ، ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى أنقن القراءات العشر وجمع فنونا من العربية وتمرن على الأدب والشعر ، وكان يقول : لم ارحل من الأندلس حتى أحكمت كتاب سيبويه^٤ .

وإذا كانت هذه المرحلة هي في الحقيقة استمراراً لمرحلة الكتاب ومكملة لها ، فالاختلاف يكمن في كمية المواد التي تقدم في مستوى سن المتعلم ، ومن الصعب التفرقة بين المرحلة الأولى وهذه المرحلة ، فمعظم الدراسات تتفق على أن التعليم في الأندلس يتميز بثلاث مراحل

في عهده شكلية فقط. ابن الأبار، الحلة السيرة ، ص ١٥٣ وما بعدها. ابن بسم الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٩٧، م ١ ، ص ١٩٥ .

^١ ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

^٢ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٧٨٧ .

^٣ أبوبكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي ، الإمام والقاضي والعالم المالكي ، من حفاظ الحديث برع في الأدب ، وله باع في الدين والتاريخ ، ولي قضاء اشبيلية ومات بفاس ، من أهم آثاره : العواصم من القواسم وقانون التأويل .المقري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٩ . سعيد اعراب ، مع القاضي أبي بكر بن العربي ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ٠٩ .

^٤ الضبي (أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة) ، بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٦ . محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ، " أطروحة دكتوراه " ، دار المدار ، بيروت ٢٠٠٤ ، ص ١٢٣ (نسخة القرص المضغوط). سعيد اعراب ، المرجع السابق ، ص ١١ . وكتاب سيبويه متخصص في علم النحو لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر (١٤٨ - ١٨٠ هـ - ٧٦٥ - ٧٩٦ م) ، إمام النحاة ، وهو أول من بسط علم النحو ، توفي شاباً ، ومعنى كلمة سيبويه باللغة الفارسية رائحة التفاح . ابن خير الاشبيلي (أبوبكر محمد بن خير) ، الفهرسة ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ج ٢ ، ط ٢ ، ص ٣٩٩ . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٨١ .

: المرحلة الأولى المذكورة سالفاً ومرحلة التخصص ، ومرحلة فاصلة بين المرحلتين السابقتين ، والتي أطلق عليها مصطلح المرحلة الثانية أو المتوسطة ^١.

المرحلة الثالثة: المرحلة العليا (مرحلة التخصص أو التعليم الاحترافي ^٢)

تشبه هذه المرحلة التعليم العالي في العصر الحالي ^٣ ، وليس من السهل تحديد بداية هذه المرحلة ونهايتها والفصل بينها وبين المرحلة السابقة لها ، لكن المعروف أن في هذه المرحلة يقدم المتعلم بالرحلة في طلب العلم ، والانتقال من مكان إلى آخر لهدف التركيز والتخصص في علم من العلوم كما انه يدرس ويتعمق في العلوم الدينية واللسانية والعقلية^٤ ، ورغم أن هذا الطور - إن صح التعبير - هو مرحلة التخصص في مادة من المواد التعليمية إلا أن طلاب التعليم في هذه الفترة لا يدرسون مواد منفردة بذاتها فقد يجمع الطالب أحيانا في الوقت نفسه بين أكثر من مادة، ومثال ذلك فقد يدرس القرآن والحساب ، أو المنطق والطب ، لكن وفقا للمنهج الذي تتميز به هذه المرحلة فان الدراسات الدينية كان لها السبق أكثر من غيرها، ثم التعمق في دراسة النحو ثم تأتي مادة التخصص ^٥.

ومن أمثلة طلاب هذه المرحلة ،الطبيب ،المؤرخ ابن جلدج القرطبي سليمان بن حسان (٣٣٢-٣٧٧هـ/ ٩٤٣ - ٩٨٧ م) ^٦ حيث " سمع الحديث وهو ابن عشر سنين ... وعني بالطب أتم عناية وهو ابن أربع عشرة سنة وأفتى فيه و هو ابن أربع وعشرين وصنف فيه

^١ ومن أصحاب هذا التقسيم : محمد الأمين بلغيث ، وكذلك سعد بن عبد الله البشري. محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ١١٨. سعد بن عبد الله البشري، المرجع السابق ، ص ٢١٣ . ويرى الأستاذ محمد عادل عبدالعزيز أن المراحل التعليمية تقسم إلى دورين ، الأول وهو ما يعرف بالتعليم العام ، والثاني الذي يعرف بتعليم الصنائع أو التعليم الصناعي ، وفي التعليم الأول (التعليم العام) ينقسم بدوره إلى مرحلتين : الأولى وهي مرحلة الكتاب = = بمعنى مرحلة التعليم الابتدائي بلغة عصرنا ، وتبدأ من سن الخامسة أو السادسة من العمر إلى غاية السن الثالثة عشر أو الرابعة عشر ، والمرحلة الثانية فهي التي تشمل المرحلتين : المتوسطة والعليا ، وتبدأ من سن المراهقة أو قبلها حسب استطاعة المتعلم ونجايته ، أما التعليم الصناعي فكان يكتسب بالممارسة عن طريق التدريب والخبرة بلغة العصر الحالي. محمد عادل عبد العزيز ، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ص ٨ ، ٩ .

^٢ محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق ، ص ١٢٣.

^٣ خوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٤ ، ص ٤١ . محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع السابق ، ص ٢١١.

^٤ محمد عبد الحميد عيسى ، المرجع نفسه ، ص ٢١٢ .

^٥ خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

^٦ أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلدج ، طبيب ومؤرخ أندلسي من قرطبة ، تعلم الطب . سمع الحديث، وقرأ كتاب سيويوه ، من أهم آثاره : طبقات الأطباء والحكماء وهو مطبوع . ابن اصبعية ، المصدر السابق ص ٨١ . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

كتبا جلييلة ...^١، وكذلك الشيخ الزاهد محمد بن احمد القيسي المعروف بابن الخلاص (ت ٣٦٤هـ) الذي تخصص في الحديث والقرآن والتاريخ^٢.

ومن مظاهر التعلم في هذه المرحلة أن بعض الطلاب كانوا يبحثون في بعض المسائل العلمية لم تكن في متناول العامة كتعلم الفلسفة ، أو بمذهب فقهي ما ، أو الاهتمام بعلم الفلك الذي كان محظورا إلا في بعض المسائل المتعلقة بتحديد اتجاه قبلات المساجد ، وتعيين مواقيت الليل والنهار لمعرفة أوقات الصلوات ومواعيد الأهلة ، وإذا تجاوز طالب العلم هذه الحدود فقد وقع في المحذور^٣ وكان هذا الوضع سائداً إلى غاية قبل تولي عبد الرحمان الناصر ٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١ م^٤ السلطة ، ومن عانى من هذا الوضع الفيلسوف القرطبي ابن مسرة (٢٦٩-٣١٨هـ / ٨٨٣-٩٣١ م)^٥ الذي يرجع إليه الفضل في ترغيب الأندلسيين لمسائل الفلسفة .

والجدير بالذكر أن هذه المرحلة لا يتعداها طلبية العلم إلا بعد أن يتمكنوا من علوم المرحلة السابقة فروي عن أبي بكر ابن زهر الطبيب انه لم يأذن لطلابين قراءة كتاب في المنطق إلا بعدما أجادوا حفظ القرآن والإلمام بعلم التفسير والحديث والفقهاء كما أمرهم بالاهتمام بالأموال الشرعية والاقتداء بها^٦.

^١ المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : محمد بن شريفة ، إحصان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، السفر الرابع ، م ١٠٠ ، ص ٦٢ .

^٢ هو محمد بن أحمد بن محمد المكنى بأبي عبد الله ، أصله من بجاية ، وهو أستاذ ابن الفرضي عالم الأندلس المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٩٥ .

^٣ أنجل جنثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص ٤٤٧ .

^٤ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله المرواني الأموي ، يكنى : أبو المطرف ، أول من تلقب بالخلافة في الأندلس بعد ضعف الدولة العباسية أيام أبو الفضل المقتدر بالله (ت ٣٢٠ هـ) ، ولي بقرطبة بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد ، يعد المؤسس الفعلي للبحرية الأندلسية من خلال انتصاراته ضد الفاطميين والنورمان ، ونظم الجيش حتى صار من أعظم جيوش عصره ، والذي به غزا النصارى في الشمال ، وكان يشبه بعبد الرحمن الداخل (ت ١٧٠ هـ) كان محبا للعلم وتخليد الآثار ، توفي بقرطبة . ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) ، اعمال الاعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق : ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٩ . السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تاريخ الخلفاء تحقيق : أحمد إبراهيم زهوة ، سعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط ٤ ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٩٩ . رينهرت دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ترجمة وتعليق وتقديم : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٢ ، ١٩٩٤ ، ص ٥٧ .

^٥ محمد بن عبد الله الجيلي المعروف بابن مسرة ، فيلسوف أندلسي ، من الزهاد والعباد ، قيل أنه تأثر بأراء المعتزلة ، واعتزل جبيل في قرطبة قبل وبعد رحلته الحجبة ، اتهم هو وتلاميذه بالزندقة والإلحاد فابتلي بحرق كتبه وضاعت معظمها ولم يبق منها سوى كتابين وهما : " التبصرة " و " الحروف " . المقري التلمساني المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٢٩ . أنجل جنثال بالنتيا ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

^٦ إبراهيم علي العكش ، التربية والتعليم في الأندلس ، دارعمار ، دار الفيحاء ، عمان ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ١٨١ .

من هذا المثال يتضح أن المعلم لا يجوز لطلبته الانتقال إلى المرحلة العليا وبالتالي دراسة العلوم الأخرى غير الدينية إلا بعد الإلمام والتمكن بالعلوم الشرعية أولاً ، وهذه المرحلة لا تنتهي إلا بعد أن يقطع الطالب أشواطاً طويلة في المرحلة الثانية وهذا حسب تمكن الطالب ، وذكاؤه ، وسنه ومدى استعداداته ، وإمكاناته ، واجتهاده .

المبحث الثاني : طرق التدريس

اعتمد الأندلسيون طرقاً عديدة للتدريس منها : الإسماع (التلقين) ، الإملاء ، المحاور ، والحفظ والمناظرة الخ^١ ، واختلاف هذه الطرق يعود بالأساس إلى المربي أو المعلم أو الأستاذ ، إذ لكل أستاذ طريقته الخاصة في التدريس ، وهذا حسب تجربته وخبراته الشخصية ، وتكوينه العلمي كما يرجع إلى مستوى طلابه ، وكذا المواد الدراسية التي يلقيها ، ويراعي المدرسون بصفة عامة المبادئ الأساسية التربوية والمعروفة لدى علماء التربية والتعليم كالتي ذكرها ابن خلدون في المقدمة ، ومن بين هذه المبادئ التدرج في التعليم من البسيط إلى المعقد ، وتبسيط المعلومات وتسهيلها ليفهمها المتعلمون ومنها كذلك محاولة المعلمون تحبيب الطلاب للدرس بطرق مختلفة منها الاستطرادات والحكايات ، فتصبح بعض حلقات الدروس نزهة للسامعين على حد تعبير المؤرخ المعاصر المغربي اسكان الحسين ، وكان المعلمون ينشطون بعض الحلقات وذلك بإذكاء المنافسة بين الطلاب ، وهذا لدفع الملل والإرهاق من لدنهم^٢ . وفيما يلي يأتي الحديث عن كل طريقة ، وكيفية تطبيقها :

١. الإسماع أو التلقين :

من خلال السماع من لفظ المعلم ، وميزة هذه الطريقة أنها مؤمنة من الخطأ ، ويعد الإسماع من أهم الطرق شائعة الاستخدام في التعليم ، وبالأخص في ميدان العلوم الدينية والأدبية ، وهو ينقسم إلى إملاء ، وحديث ، من خلال حفظ المعلم ، أو من كتاب معين يقرأه ، أو يكلف أنجب الطلاب في الحلقة بتلاوة النص وهو المعروف بقارئ المجلس ، وبقيّة

^١ الصمدي خالد ، مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري ، "مجلة الحضارة الإسلامية" ، معهد الحضارة الإسلامية ، وهران ، عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي ، ١٩٩٣ ، ص ١٤٧ نقلاً عن خميسي بولعراس ، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٠٠ - ٤٧٩ هـ / ١٠٠٩ - ١٠٨٦ م "مذكرة ماجستير" ، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الموسم الجامعي : ٢٠٠٦-٢٠٠٧ ، ص ١٤٦ . و يقول أبو العباس أحمد بن الشيخ عبد الواحد بن محمد بن المواز الحسيني السليماني ، وهو كاتب ومتقف مغربي أن مراتب (طرق) التعليم خمسة : الأولى بالسماع ، والثانية بالقراءة ، والثالثة : الكتابة المقترنة بالإجازة والرابعة بالمناولة أي أن يناول الشيخ تلميذه صحيفة العلم ، والخامسة بالإجازة كأن يقول الشيخ أجزت لك أن تروي عني هذا الحديث ، أو هذا الكتاب... الخ . ابن المواز ، المرجع السابق ، ص ص ٦٧ - ٦٨ .

^٢ الحسين اسكان ، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (١ - ٩ هـ / ٧ - ١٥ م) ، مركز الدراسات التاريخية والبيئية ، ضمن سلسلة الدراسات والأطروحات رقم ٠٢ ، الرباط ، ٢٠٠٤ ، ص ص ١١١ - ١١٢ .

الطلبة يكتبون ، وفي أثناء القراءة يصحح المعلم القراءة أو يشرحها ، أو ربما يصحح ويشرح معاً^١.

ولقد اعتمد التعليم الإسلامي في العصور الوسطى بصفة عامة على طريقة الرواية نظراً لطبيعة العقل العربي ، وقدرته الفائقة على الحفظ ، إذ يروى أن العلامة أحمد بن عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٩ م) أقرأ الناس القرآن بالروايات^٢ ، وإذ يتوقف المرء متعجباً في هذه القدرة والنعمة التي امتاز بها الحفظ والحفاظ من طلبة العلم ، وأمثلة بعض النواحي كثيرة فقد قرئ على العلامة أبا محمد عبد الله بن سعيد بن لباج الأموي الشنتجالي القرطبي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) صحيح مسلم بين جمعتين بجامع قرطبة في مواعدين الغداة والعشية^٣.

٢. الإملاء :

و هو أن يتخذ المعلم مجلساً يضم طلبة العلم ، ثم يملي عليهم من ذاكرته بما يحفظ من علم وطلبته يكتبون ذلك في أوراقهم^٤ ، إذا فالإملاء نفس أسلوب الإسماع ، وإنما الاختلاف في حالة المتلقي ففي الحالة الأولى يسمع ويحفظ أما في حالة الإملاء يقيد الطالب كل كلمة يسمعها من أستاذه^٥.

ويبدأ الشيخ درسه بالبسملة ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرر الدرس وإذا فرغ منه يختم الحلقة بقراءة الفاتحة ، ثم يعين لطلابه موضوع الدرس القادم^٦.

وقد تستخدم في بعض المواضيع طريقتي الإملاء والتلقين معاً ، وهذا لعدم توفر الكتب المدرسية كما هو في الوقت الحالي ، وفي الغالب - كما جاء في الدراسات الحديثة - لم يكن

^١ ولقد أصبح مصطلح القراءة مرادفاً لمطلول الدراسة في المغرب الوسيط . نفسه ، ص ١١٢ .

^٢ ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٤ .

^٣ نفسه ، ج ٢ ، ص ٤١٧ .

^٤ يجلس الأستاذ على الأرض كالطلبة ومن الصعب تمييزه ، إذا لم يكن يجلس في وسط الحلقة ويلتف حوله الطلبة ويسند ظهره على جدار أو عمود ، ويكون الطلبة على أتم الاستعداد لكتابة ما يملي عليهم في كراسات مخصصة لهذا الغرض سندونها على ركبهم ، ومحابرهم أمامهم فيها القلم والدواة ، أو يتابعون القراءة في الكتب . خوليان ريبيرا المرجع السابق ، ص ١١٠ . ويقول حاجي خليفة في فضل الإملاء : " واعلم أن جميع المعلومات تعرف بالدلالة عليها بأحد الأمور الثلاثة الإشارة ، اللفظ ، والخط ، والإشارة تتوقف على المشاهدة واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه ، وأما الخط فلا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعاً وأشرفها . حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية بيروت ، م ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٥٢ .

^٥ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

^٦ محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

في ذلك الوقت من الكتاب المملى إلا نسخة واحدة ، وهي التي بيد المعلم ، لهذا يضطر أن يملى على طلبته ما جاء في ذلك الكتاب ^١ .

ومن أشهر من جمع بين طريقتي الإقراء والإملاء المربي والمعلم عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطلي المعروف بابن العسال (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) العالم بالحديث و التفسير و الأدب إذ كان له مجلس يقرأ عليه التفسير ، ويتناوله بالشرح ، والتوضيح ، ويدعم أقواله بالأحاديث النبوية الشريفة ^٢ .

ومن مجالس الإملاء المعروفة مجلس الحافظ المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عيسى فطين بن اصبغ بن فطيس (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) ^٣ الذي كان يملى الحديث الشريف على طلابه .

٣. القراءة :

تتميز هذه الطريقة بأنواع فرعية مختلفة : ومنها أن يقرأ المعلم من كتاب والطالب يسمع منه وقد يقرأ المعلم من حفظه ، وتشبه الحالتان طريقة الإسماع السالفة الذكر ، أو قد يقرأ الطالب على المعلم كتابا ويسمى هذا التعلم عرضا ، ويشترط فيه أن المعلم أو الشيخ حافظا عالما لما يقرؤه التلميذ عليه ، و إذا أخطأ التلميذ أو حرف في عرضه للشيخ رده عليه ^٤ .

و لا يقتصر استخدام هذه الطريقة في المرحلة الأولى من التعليم بل في مرحلة التخصص كذلك إذ كانت القراءة على الأستاذ في هذه المرحلة من أكثر الأساليب شهرة ، وفي هذا نميز نوعين من القراءة : القراءة على الشيخ ، والقراءة الذاتية ^٥ ، وممن اشتهر بالإقراء محمد بن أحمد بن سعيد المعافري (ت ٤٦٩هـ) ^٦ ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ^٧ ... الخ

^١ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

^٢ ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٥ . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

^٣ من كبار المحدثين والعلماء ، عارفاً بالجرح والتعديل ، جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من عصره في الأندلس ، مع سعة الرواية والحفظ والدراية ، كان له ستة وراقين ينسخون له الكتب مقابل راتب معين ، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للاقتناء منه ، وبلغ في ثمنه ، وإلا نسخه ، ورده لصاحبه . ابن بشكوال ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ٤٦٦ وما بعدها .

^٤ ابن المواز ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

^٥ عباس محبوب ، التربية والتعليم في كتب التراث ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، أريد ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ١١٤ .

^٦ المعروف بابن الفراء ، من أهل جيان ، يكنى : أبا عبد الله ، اختص في القراءات ، له رحلة إلى المشرق ، توفي بمكة . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٢٥ .

^٧ إمام عصره في الإقراء ، وهو محدث وأديب ، يعرف بابن الصيرفي ، تصدر للقراءات وألف فيها وفي طبقات رجالها بلغت مجموع مؤلفاته نحو المائة مؤلف . الضبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ .

٤. المناقشة (الأسئلة والأجوبة) :

ويقصد بالمناقشة ما يدور من حوار، ولا يكون هذا إلا بأسئلة الطلاب وأجوبة المعلم ، أو يطرح العالم مسألة من مسائل العلم ، أو حديثاً من الأحاديث ، ثم يتلقى الأسئلة حول الموضوع^١ .

ويذكر أنجل بالنثيا أن صاعد البغدادي (ت ٤٤٧هـ / ١٠٢٦م) ادخل طريقة جديدة إلى الأندلس في درس الشعر الجاهلي ، من خلال قراءة الطالب القصيدة ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ ، فيقوم بالشرح معتمداً في ذلك على المعاجم العربية^٢ .

وتتقل النصوص جانب من تواضع الأساتذة في بعض حلقات الدروس عندما تطرح عليهم أسئلة لا يفقهون جوابها ، فروي أن طالباً سأل أستاذه ابن سكرة السرقسطي (ت ٥١٤هـ / ١٢٠١م)^٣ عن كلمة لم يفهمها في كتاب كانوا يقرعون فيه ، فأجابه الأستاذ بأنه لا يملك جواباً لسؤاله ، ووعده بأن يبحث عن الجواب على مهل ويجيبه فيما بعد رغم أن هذا المربي كان من أشهر علماء عصره^٤ .

٥. المناظرة :

لم يقتصر التعليم في الأندلس على الطرق السابقة ، إذ أن بعض النصوص أثبتت أن أساليب التعليم تنوعت ، وكان من ميزات التربية الأندلسية : الحرية في التعلم مع إعطاء الأهمية للمناظرة التي تعد أفضل من طريقة التلقين ، ومن بين مزاياها بناء شخصية المتعلم الذي يكون واثقاً من نفسه ، قوي الحجة فيما يعرفه ، قادراً على نقد نفسه ، وهي إحدى مظاهر التجديد الأندلسي في جانب التربية والتعليم، وليس الهدف من النقاش الفضول الفكري بل القدرة على الإبداع والتوضيح^٥ .

^١ سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ . وتعد الطريقة الاستجوابية من أهم طرق التعليم التطبيقية ، وتستخدم الأسئلة بهدف تقويم المعارف أو اكتشاف الحقائق من طرف المتعلمين ، ومحاسن هذه الطريقة كثيرة ، فهي تثبت المعلومات ، وتتمى القدرة على التعبير ، وترسخ عادة التفكير التحليلي ، وتبقى الانتباه متيقظاً ، وتقتصد من الوقت... الخ . غي بالماد ، مناهج التربية ، ترجمة : جوزف عبود كبة ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ص ٥٣ - ٥٤ .

^٢ أنجل بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

^٣ حسين بن محمد بن فيره بن حيون ، يكنى : أبا علي ، قاضي ومحدث . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٥ . خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

^٤ خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

^٥ عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي ، الفكر التربوي في الأندلس ٤٠٣ - ٤٧٨ هـ ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ١٩٨٥ ، ص ٦٧ .

ولفظ المناظرة يتكرر كثيراً في المصادر والنصوص ، فبعض المواضع يوحي معناها إلى طريقة السؤال والجواب السابقة الذكر^١ ثم البدء في طرح المسائل كما تذكر المصادر ذلك أثناء الحديث عن العلامة أبا محمد عبد الله بن أحمد بن عثمان الطليطلي المعروف بابن القشاوي (ت ٤١٧ هـ)^٢ ، وفي مواضع أخرى يعتقد أنه يعني المناظرة بين الأساتذة فيما بينهم^٣ وفي مواضع غير التي سبقت توهي إلى النظر والتعمق في المسائل والتفقه أكثر والأمثلة على ذلك كثيرة ، إذ يرد المقرئ أن قاسم بن سيار (ت ٢٧٨ هـ) لزم أستاذ يدعى ابن عبد الحكيم للتفقه والمناظرة^٤ وكذلك يحيى بن زكريا بن سليمان القرطبي (ت ٣١٥ هـ) :

" كان فقيها في المسائل ... وكان مشاورا مع محمد بن عمر بن لبابه ونظرائه ... وكان يجتمع إليه للسمع منه والمناظرة عنده ... " ^٥ ، ويذكر ابن أبي أصيبعة عن عمه رشيد الدين علي بن خليفة :

" أنه شرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه ... ثم باحث الأطباء ... " ^٦ ، وفيما يخص نوع المناظرة بين الأساتذة فهي لا تنقيد بحلقات العلم أو مجالس الدرس في المساجد ، إذ هي مناظرات علمية حرة ، ومن أشهرها تلك التي كانت تعقد بين الفقيه الظاهري ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)^٧ والفقيه المالكي الحافظ سليمان الباجي (ت ٤٧٤ هـ)^٨ ، ومما يوصف عن ابن حزم انه كان شديد الوطأة في مناظرته العلمية ، حاد اللسان في جدله ونقاشه ، وتكالب فقهاء

^١ سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

^٢ ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

^٣ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ . محمد عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

^٤ المقرئ ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

^٥ ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٩١٣ - ٩١٤ .

^٦ عباس محبوب ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

^٧ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ، أبو محمد الظاهري ، الحافظ ، العالم ، لعلوم الحديث ، الفقيه ، كان ذكياً سريع الحفظ ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، تنتسب إليه طائفة من أتباع الظاهرية سموا بالحزمية ، اشتغل هو وأبيه بالوزارة ، ثم انصرف هو للتأليف والتعليم ، عاش منفياً حتى توفي ببادية لبلة ، وقيل أنه اجتمع بخط يده نحو ٤٠٠ مجلد تحتوي على ما يقرب من ثمانين ورقة. الضبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٣ وما بعدها المقرئ ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٣٩ وما بعدها .

^٨ سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي ، الحافظ ، من أهل قرطبة ، له رحلة إلى المشرق فأقام بمكة ثم رحل إلى بغداد والموصل ، كان يحضر مجلسه نحو ثلاثة آلاف رجل للسمع منه ، وقيل أربعون ألفا رجل . ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٧ وما بعدها .

المالكية ضده إلى درجة أنه أحرقت كتبه ، وطرد من مدينة إلى أخرى بعد انهيار الدولة الأموية وبداية حروب الطوائف^١ .

وكان يحظى العلماء المتناظرون بقدر كبير من الاهتمام والإكرام من طرف الأمراء والحكام، كبني عباد في اشبيلية الذين اعتنوا بالأدب والشعر، وبنو الأفطس في بطليوس، وغيرهم .

والمناظرة بصفة عامة تستخدم في المرحلتين الأولى والثانية كإحدى الطرق في التعليم من أجل طرح المسائل ومناقشتها ، وإما من كتاب يدرس ، أو يطرحها المعلم لأهداف تربوية تعليمية وهذا من أجل أن يتعلم التلاميذ الدفاع عن وجهات نظرهم .

٦. الإجازات العلمية :

تعني الإجازة مقاصد كثيرة في القاموس اللغوي العربي والموسوعات ، لكن موضع الإجازة في هذا البحث يقصد بها تلك الشهادة التي يمنحها المعلم للطالب ، تعبر تلك الشهادة ما تلقاه الطالب على يدي المعلم في علم من العلوم ، وهي تشبه الشهادات التي تمنحها المدارس العليا والجامعات في الوقت الحاضر للطلبة المتخرجين ، غير أن الإجازات تختلف عنها من حيث الشكل ومن حيث طريقة التحصيل عليها من طرف المجيز^٢ .

وكان الطالب إذا ما انتهى من دراسة كتاب على أحد الشيوخ يحصل على إذن منه بتدريسه وروايته ، واصطلح على هذا الإذن بالإجازة ، وكان يقول الشيخ: أجزت لك أن تروي عني هذا الحديث ، أو هذا الكتاب^٣ ، وقد يكتفي الطالب بالقليل من العلم أو يجمع منه الكثير حسب ظروفه الخاصة ويجاز على المتحصل عليه ، والإجازة بشكل عام هو انتقال الطالب من مجلس التعلم إلى مجلس التعليم^٤ .

^١ ومعلوم أن العالم والمؤرخ والمربي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م) قد ناظر العديد من علماء عصره منهم الفقيه عبد الرحمن بن قاسم (ت ٤٩٩هـ / ١١٠٦م) قاضي مالقة الذي كان من علماء الفقه ومسائله ، هذه المناظرات أبهرت الفقهاء ، وأثارت فيهم العجب لتمكن هؤلاء العلماء في العلم والمعرفة وذكائهم في الرد على بعضهم البعض . سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

^٢ محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

^٣ ابن المواز ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

^٤ كان لمجلس التعليم رهبة كبيرة بالنسبة للمجازين حديثي العهد ، وهذا بسبب كثرة الأسئلة وصعوبتها التي يختبر بها الطلبة مدى تمكن الأساتذة الجدد - إن صح التعبير - في الرد والإجابة . أحمد شلبي ، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦٣ .

ولقد استخدمت الإجازة في أول الأمر في رواية الحديث الذي كان يروى شفويًا ، ثم ظهر علم نقد الإسناد لضبط ومعرفة مدى صحة الراوي والسند ، ويروي الإمام البخاري أن من بين ست مئة ألف حديث رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف ونيف هي الصحيحة فحسب لهذا يطلب في تدوين الإجازة ذكر اسم الأستاذ والتلاميذ، والوسيلة التي تلقى بها الرواية سماعاً أو قراءة والى المادة نفسها^١ . لهذا عرف بعض العلماء الإجازة : " بأنها ذلك الكلام الصادر عن المجيز على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمرويياته ، ويطلق شائعاً على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد..."^٢

وأركان الإجازة أربعة : المجيز ، والمجاز له، ولفظ الإجازة ، والمجاز به^٣ ، ولتحصيلها لابد من توفر شروط أجملها الإمام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)^٤ فيما يلي :

١/ أن يكون الفرع مطابقاً للأصل ، حتى كأنه هو .

٢/ أن يكون المجيز عالماً بما يخبر به ، ثقة في دينه ، وروايته .

٣/ أن يكون المستجير من أهل العلم ، ومتسماً بسمته ، حتى لا يضيع العلم عند غير أهله^٥ .

وتمنح الإجازة للطالب بطريقتين مختلفتين : الأولى شفوية ، والثانية تحريرية ، والإجازة الشفوية أقدم استخداماً من التحريرية ، واستخدمت الإجازة أول الأمر عند المحدثين كما سبق ذكره لأنهم أول من اهتموا بتدوين العلم في الإسلام، ثم استخدمت في باقي العلوم الأخرى^٦ ، وقد يعطي الشيخ للطالب عدة إجازات ، وقد يجاز الطالب من عدة شيوخ ، وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة عن كيفية تحصيل الإجازة وهي تعبر في مجملها عن أنواع الإجازات :

^١ خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

^٢ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

^٣ نفسه .

^٤ الإمام مالك بن انس بن مالك الأصبحي الحميري ، يكنى : أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة من أهل السنة وإليه تنسب المالكية ، ولد بالمدينة ، وبها توفي ، وقد اختلف في تاريخ ميلاده ولكن معظم المراجع تقول أنه في سنة ٩٣ هـ (٧١٢م). القاضي عياض، المصدر السابق ، ج١، ص ١٠٢ وما بعدها . خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج٥ ، ص ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

^٥ سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ . خوليان ريبيرا ، المرجع نفسه ، ص ١٢١ .

^٦ سعد عبد الله البشري ، نفسه .

١/ إجازة معين لمعين في معين : إذ يحدد في هذا النوع الشيخ المجيز ويكون معروفا ما يريد إجازته ، وكذلك الشخص المجاز له ، وكذلك لفظ الإجازة ، ومثال ذلك ما كتبه أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد العنسي حيث يقول : "أجزت الشيخ القاضي الأجل أبا الفضل احمد بن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنفى هذا، وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من يشاء ثقة بفهمه ، واستقامة إلى علمه"^١.

٢/إجازة معين لمعين في غير معين : ومعناه إجازة شيخ معين معروف لطالب معين معروف في مواضيع لم يحددها الشيخ ، تركها في العموم ، ومثال ذلك ما ذكره ابن الفرضي عن أبي عمر احمد بن عبد الله بن عبد البصير الجذامي القرطبي (ت٣٨٨هـ) إذ قال: "أجاز لي ولأبي مصعب جميع ما رواه"^٢.

٣/ إجازة معين لغير معين : وتسمى الإجازة العامة^٣ ، وذلك كأن يقول الشيخ المجيز: "أجزت للمسلمين أو لمن دخل قرطبة أن يروي كذا ، وقد لا يحدد المجاز به ، ومثل ذلك كقوله : "أجزت لمن بقرطبة من الطلبة"^٤.

٤/ الإجازة للمعدم كقول : أجزت لفلان وولده ، وكل ولد يولد له ، أو لعقبه وعقب عقبه ، وقد اختلف العلماء في جوازها وقبولها للطفل الصغير^٥.

٥/ الإجازة بالمناولة^٦ : وهي أن يتناول الشيخ تلميذه صحيفة العلم ويقول هذا سماعي، فيعرضه على الشيخ ثم يرد الشيخ إليه بعد تحرير ، ويقول هذا من مروياتي فلترويه عني^٧ ، ومثال ذلك ما روي عن محمد بن عبد الرحمن القيسي الشاطبي (٤٩٤ - ٥٦١هـ) انه لقي أبا بكر فناوله وأجاز له^٨.

^١ المقرئ ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ . إبراهيم علي العكش ، المرجع نفسه ، ص ١٥١ .

^٢ ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٩ .

^٣ يوجد نوعان من الإجازة العامة : واحدة عامة في المادة العلمية ، وخاصة للأشخاص الذي تمنح لهم ، وقد استخدمها ابن الأبار في كتابه التكملة ، والنوع الآخر عامة في الأشخاص وفي المادة في آن واحد وهو المقصود في هذا الموضوع. خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

^٤ ومثال ذلك ما نقله ابن الأبار : "...وحدث عن السلفي بإجازته لمن بقرطبة من الطلبة في حياته بسؤال أبي مروان عبد الملك المرجوني ...". ابن الأبار ، التكملة ، ص ١١٦ .

^٥ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٣٨ . سعد عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

^٦ ابن خلدون ، نفسه.

^٧ ابن الموز ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

^٨ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

٦/ الإجازة بالمراسلة : كقول ابن الزبير (٦٢٨ - ٧٠٨ هـ): " ...وأجاز له من غير لقاء..."^١

٧/ الإجازة بالتبادل : كأن يلتقي اثنان ، فيأخذ كل منهما عن الآخر ويجيز بعضهما البعض كقول :

"...أجزت له جميع روايتي ، وأجاز لي جميع روايته ..."^٢.

إن طريقة الحصول على الإجازات واشتداد التنافس عليها أفقدها مع مرور الوقت قيمتها والغاية السامية منها ، إذ عمت الفوضى في طرق تحصيلها ، ومثال ذلك كأن يجيز الشيخ لمن لم يولد بعد كما هو في إجازة المعدوم ؟ وكيف يجيز العالم أو الشيخ لطلاب لم يرههم أبداً أو إجازة عامة للمسلمين كما هو الحال في الإجازة العامة ، وأصبحت المجاملات في بعض المناسبات هي الأساس في منح بعض الإجازات ، دون أن يكون حاملها محصلاً للعلم وأهلاً لها إلى درجة أن العالم أبو ذر الهروي قال كلمته المشهورة : " لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة "^٣.

ولقد ألف العديد من العلماء والمشايع الكتب يحتجون فيها على مثل هذه الإجازات فقد كتب أبو العباس وليد بن بكربن مخلص الغمري السرقسطي (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) مؤلفاً سماه "الوجازة في صحة القول بالإجازة" وقد أشار في كتابه هذا بعض الإجازات الفاسدة التي لا يعترف بها^٤ وروي أن العالم عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المقرئ (ت ٤٤٤هـ) كان متشدداً في منح الإجازات ، إذ قرأت عليه ذات يوم امرأة "وقالوا لا تنفروا في الحر"^٥ ، فقال لها اكسري الحاء فقالت لا تنفروا في الحوار فقال : أنا لا أجز مثل هذه والله لا برحت أو اكتب لها ، فكتب إجازتها في ذلك الموضع^٦.

^١ ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم)، صلة الصلة ، تحقيق: عبد السلام الهراس ، سعيد اعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، القسم الرابع ، ١٩٩٥ ، ص ١٧ . إيراهيم علي العكش ، المرجع نفسه ص ١٥٣.

^٢ ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٩٤ .

^٣ نفسه ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

^٤ أبو العباس وليد بن بكر بن مخلص بن أبي زياد الغمري ، عالم ومؤدب . ابن بشكوال ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٢٥ . المقرئ ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١ .

^٥ ابن بشكوال ، نفسه . الضبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ - ٦٤٦ . خوليان ربيرا ، المرجع السابق ص ١٢٠ .

^٦ سورة التوبة رقمها ٩ ، الآية رقم ٨١ .

^٧ الضبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ .

الخاتمة :

من خلال ما سبق يتضح جلياً ملامح و مظاهر الحركة التعليمية الأندلسية منذ تأسيس أركان الدولة الإسلامية المستقلة في الغرب الإسلامي إلى غاية قبيل دخول المرابطين ، على الأقل من زاوية النظام والمنهاج التعليمي المتبع لطالب علم ، وهو يتتبع مراحل التعلم من الصبا إلى التخصص إلى الوفاة حتى .

فالاهتمام بالتعليم في عصر الإمارة ارتكز في مختلف المراحل التعليمية خاصة الأولى والثانية منها أولاً وقبل كل شيء على العلوم الدينية كحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وعلى اللغة العربية وعلومها كالنحو والأدب والشعر... الخ ، ثم بدأت العناية والاهتمام بالعلوم الأخرى كعلم الحساب ، والفلك ، وغيرهما فيما بعد .

أما في عصر الخلافة فهو يعتبر عصر النمو والتطور للنهضة العلمية التي تأسست في العصر الذي سبقها ، وبلغت الحضارة الفكرية - إن لم نبالغ - مستوى القمة خاصة في عهد الخليفين عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٣-٩٦١م)، وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١- ٩٧٦ م).

ولقد ترجمت هذه الريادة والتميز بنتائج وآثار جد إيجابية تمثلت في بروز ظاهرة كثرة التأليف وضخامة الإنتاج في عصر ملوك الطوائف ، ويعجب المتتبع لهذا الموضوع أن هذه النتائج الإيجابية كانت في غياب المؤسسات الرسمية التي كان من المفروض عليها توجيه وتنظيم الحركة التعليمية كما هو الحال للمؤسسات التعليمية في عصرنا الحالي كالمدارس والجامعات ، ماعدا الكتاتيب التي أنشأها الحكم المستنصر بالله للصبيان وطلبة العلم الفقراء وهذا بدافع خيرى وقفي بحت وليس كسلطة رسمية راعية ومشرفة على التعليم وتنظمه ، وتدفع الرواتب للقائمين عليه .

والملاحظ مما سبق كذلك أن طرق وأساليب التدريس اختلفت وتنوعت ، وهذا بحسب المربي أو المعلم الذي يقدم المادة التعليمية لطلابه ، وحسب المستوى التعليمي الذي يبلغه المتعلم ، فطريقة التدريس في الكتاتيب - في بدايات التعليم - تختلف عن طريقة التعليم لدى معلمي المرحلة المتوسطة والعليا ، فالأولى قد تكتفي بالإملاء أو الإسماع أو الإقراء أو كلهم إجماعاً ، أما المرحلتين الأخيرتين فهي أرقى أسلوباً وتقديماً فهي تشمل كذلك طريقة المناقشة أو المناظرة أو كليهما معاً .

وعموماً فاختلاف المناهج التعليمية في الأندلس ، وكذا طرق تدريس العلوم والمعارف في الفترة الزمنية المحددة أعلاه تتوقف حسب سن المتعلم ، والمادة التعليمية المقدمة له وبطبيعة الحال التخصص .

المصادر :

* القرآن الكريم

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ، **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩ . (ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية)
- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ، **الحلة السيرة** ، وضع حواشيه وعلق عليه : علي إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ .
- ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٩٧ .
- ابن بشكوال (أبو القاسم بن خلف) ، **الصلة** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩ . (ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية)
- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) ، **اعمال الاعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الاسلام** تحقيق وتعليق : ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ط٢، ١٩٥٦ .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، **المقدمة** ، تحقيق : علي عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ٢٠٠٦ .
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، (د.ت) .
- ابن خير الاشبيلي (أبو بكر محمد بن خير) ، **الفهرسة** ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني القاهرة ، بيروت .
- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم)، **صلة الصلة** ، تحقيق: عبد السلام الهراس ، سعيد اعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، الرباط ، القسم الرابع ، ١٩٩٥ .
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، **تاريخ الخلفاء** تحقيق : أحمد إبراهيم زهوة ، سعيد بن أحمد العبدروسي، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣ .
- صاعد الأندلسي (أبو القاسم بن أحمد) ، **طبقات الأمم** ، نشر وتحقيق : لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩١٢ .
- الضبي (احمد بن حيان بن احمد بن عميرة) ، **بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٩٨٩ . (ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية).
- ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق ومراجعة : ليفي بروفنسال و ج . س كولان ، دار الثقافة ، بيروت .
- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- عياض القاضي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، الرباط ، (د.ت).
- ابن الفرزي (أبو الوليد عبد الله بن محمد)، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٩، (ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية).

- ### المراجع العربية :

- ### المراجع المعربة :

-

الدوريات :

- اعراب سعيد ، رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده (أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس)، "مجلة الثقافة" المغربية العدد : ٥٧ ، وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالى والثانوي ، المغرب ، ١٩٧٢ .
- حمايمو أحمد ، التربية والتعليم عند القابسي،المعهد التربوي الوطني،جامعة محمد الخامس ،العدد: ٦ الرباط ديسمبر ١٩٨٢ .
- الصمدي خالد ، مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري ، "مجلة الحضارة الإسلامية" معهد الحضارة الإسلامية ، وهران ، عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي ، ١٩٩٣ .

الرسائل الجامعية والأطروحات :

- اسكان الحسين ، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (١ - ٩ هـ / ٧ - ١٥ م) ، مركز الدراسات التاريخية والبيئية ، (ضمن سلسلة الدراسات والأطروحات رقم ٥٢) ، الرباط ، ٢٠٠٤ .
- بولعراس خميسي ، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٠٠ - ٤٧٩ هـ / ١٠٠٩ - ١٠٨٦ م "مذكرة ماجستير" ، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، الموسم الجامعي ٢٠٠٦-٢٠٠٧ .
- بلغيث محمد الأمين ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ، " أطروحة دكتوراه " ، دار المدار ببيروت ٢٠٠٤ ، ص ١٢٣ (نسخة القرص المضغوط).